الانصاف في المحاكمة بين
الاسعاف والالطاف جمع
ابي الفيض محمد
مرتضى الحسيني
غفر الله له
بمنه
وكرمه
آمين

او فرد من شياطين الجن وما ورد في القران غيره فلا عجب ثم قال القاضي لا يقال
كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن خلقت من نار لما روت عايشة ورفعته
خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان
المراد بالنور الجوهر المضي والنار كذلك الا انه انتقده السيوطي فقال لو امكن المصنف
واشباهه ان يحملوا كل حديث على التمثيل لفعلوا وهذا غير لايق انتهى قلت
وهذه شناعة عظيمة لا تليق نسبتها الى القاضي كيف وهو من روس اهل السنة
ومقامه عندهم معلوم وفضله شايع على العموم وكم من احاديث حملت على التمثيل
ونزلت على التاويل وقوله السيوطي وخلق ادم مما وصف لكم قلت اما
الحديث بتمامه فقد اخرجه الامام احمد في مسنده ومسلم في اخر صحيحه ولم يخرجه
البخاري فهو من افراد مسلم وخلق ادم مما وصف لكم هو بالبنا للمفعول والمعنى
وخلق ادم مما وصفه الله لكم في مواضع من كتابه العزيز من ماء او من تراب او
من المركب منهما وهو الطين او من صلصال وهو الحما الى غير ذلك في اختلاف
مواقعها قال السيوطي وليت شعري اذا حمل ما ذكر في خلق الملائكة والجن على
التمثيل ماذا يصنع في بقية الحديث ايحمل ما ذكر على التمثيل في خلق ادم وانه
ليس مخلوقا من تراب كما هو ظاهر الاية هذه احالة النصوص عن ظواهرها
فليحذر هذه الطريقة فان مدار المعتزلة عليها انتهى قلت هذا الذي
اورده انما يتوجه على من يعتقد معتقد المعتزلة ويذهب الى ما ذهبوا اليه
والقاضي باتفاق الجميع من روس الاشاعرة وقد صرح في تفسيره في مواضع اتباعه
للامام ابي الحسن الاشعري لا سيما في تفسير هذه الاية ولعمري من كان هذه المثابة
كيف يقال بحذر راهنه فليحذر هذه الطريقة وليس جاهلا عن القواعد
التي بنى المعتزلة عليها اساس مذهبهم فينبغي التادب في مقامه والدخول تحت
اعلامه على انه لا يضر اذا كان بعض الحديث يحمل على التمثيل وبعضه لا كالتحقيق على
التحقيق يعطي لكل مقامه وله امثال في الكتاب والسنة ومن تامل قوله مما

وصف

وصف لكم وجده من جوامع الكلم وعلم ان الاختلاف جرى في خلق الانسان فلذلك
قال ما قال فتامل قوله وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي
انتقده السيوطي فقال تبع فيه صاحب الكشاف وهو مذهب المعتزلة حيث
ينكرون الشفاعة للعصاة محتجين بهذه الاية قلت عبارة الكشاف معنى
التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيا وهو الاقناط الكلي
القطاع للمطامع انتهت بوجه ما قاله السيوطي من وصف الاقناط بالكلي
فهو نظير لن في نفي الرؤية للتابيد ولم يتفطن القاضي لهذه الجزئية جريا
معه في اختصار كلامه لما يستفاد من ظاهر التنكير ولكن لم يوافقهم على ما قالوا
حيث قال وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير
واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة
فهذا كلام القاضي مصرح بانه مذهب مردود وان حمل الاقناط الكلي على المبالغة
والتشديد لم يرد عليه شي بقي ان قول السيوطي واهل السنة يعتقدون لا تجزى
نفس عن نفس كافرة شيا لما ثبت في الايات والاحاديث الصحيحة قلت
وهذا هو بعينه ملحظ القاضي في الجواب فلو راى السيوطي اخر كلامه لاستراح
وذكر ابن المنير في تاويل هذه الاية ان المذكور فيهما يوما منكرا و يوم القيامة
كالف سنة وكل وقت منه يوم قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
وقال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فتعين حملها على يومين
قلت وهذا الذي ذكره مردود ومزيف لان اطلاق اسم الايام على اليوم
الواحد قليل جدا كما نبه عليه علم الدين العراقي [illegible] تاويله بانه عام مخصوص
كما تقدم فان قوله عن نفس نكرة في سياق النفي فتعم فتامل وقال القاضي
في تفسير قوله تعالى واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
من مسه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة انتهى وهو مختصر

النفس

وينبغي

ومعناه ان الشيطان يطمع
في اغوا كل مولود بحيث يتاثر منه
الا مريم وابنها

من عبارة الكشاف اخذ منها ما صفا وترك منها ما كدر وسياقتها وما يروى من
الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان ثم ساقه الخ ثم قال فالله اعلم بصحته
فان صح فان معناه ان كل مولود يولد يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها
فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما فانظر الى حسن صنيع القاضي
لما راى الزمخشري اورده بلفظ وما يروى وقال في اخره فالله اعلم بصحته اقتفاء
لشيخ مذهبه عبد الجبار المعتزلي فانه كان ينكر هذا الحديث ترك تلك الالفاظ
الموهمة واقتصر على ما وافق لان الحديث ثابت عند الائمة اخرجه عبد الرزاق
واحمد والبخاري ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم كلهم عن ابي هريرة
رفعه وايضا عبد بن حميد والحاكم وصححه عنه ايضا بلفظ يقاربه ويروى
مثل ذلك بالفاظ مختلفة عن ابن عباس وقتادة والربيع بن خثيم ما يوجب صحة
الحديث ويرد على عبد الجبار ومن سلك طريقه وقد اشار الى بعض ذلك ابن المنير
والسعد وسبقهما امام الحرمين ولا يرد من هذا كله على القاضي شيء سوى
موافقته للزمخشري من تاويل الحديث واخراجه عن الظاهر جريا على سننه في
ارخاء العنان مع الخصم في بعض الاحيان **قوله** ووجه الاشد ية ان الزمخشري
الحق مريم وابنها سائر المعصومين اي لان الضرورة داعية على هذا التاويل
والقاضي اقتصر على استثنائهما فادى كلامه ان كل من سواهما يتاثر من اغوائه
ومنهم بقية المعصومين وهذا باطل قطعا والصواب ان الحديث على ظاهره
هذا انتقاد السيوطي عليه ولا يعاب بهذا التاويل حيث لم يضر باصل المعنى
الاصيل الذي قام عليه الدليل ولم يذكر كل من كان على صفتهما على ما صنعه
الزمخشري واتى بعد بلفظ الطمع لانه لا يلزم المحذور ويدفع لذلك بدفعه
النظر فلا اشدية **قوله** وهي حنة بنت فاقوذا **قلت** هو قول عكرمة
اخرجه ابن عساكر وابن جرير وابن المنذر عنه واخرج الحاكم عن ابي هريرة قال
حنة ولدت مريم ام عيسى **قوله** لكن يرد عليه ان هذه الاستعاذة كانت

بعد

بعد الوضع الخ **قلت** اخرج ابن اسحاق في سيرته عن بشر وابن عساكر في التاريخ
حبست م
عن ابن عباس في تفسير هذه الاية **قال** كانت ام مريم قد حبست عن الولد والمحيض
فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ نظرت الى طير يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد
فدعت الله ان يهب لها ولدا فحاضت من ساعتها فلما طهرت اتاها زوجها فلما
لئن
ايقنت بالولد قالت لئن نجاني الله تعالى ووضعت ما في بطني لاجعلنه محررا
ثم ساق القصة الى ان قال فاستجاب الله لها فلم يقربها الشيطان ولا ذريتها
عيسى فدل هذا السياق ان هذه الدعوة كانت عند الوضع ويويد ذلك حديث
ابي هريرة فيما اخرجه الحاكم وصححه وفيه فان امها قالت حين وضعتها اني اعيذها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونهما حجاب فطعن في الحجاب **وقوله**
بعض مشايخنا المحققين في هذا الموضع ويحتمل ان الشيطان لم يمس مريم ايضا
حال وضعها فلما ادركت امها بالقرائن او الالهام الالهي دعت بالاستعاذة لها
ولذريتها الخ وهو كلام نفيس جدا ولكن الاحاديث الواردة والاثار الثابتة
صريحة في عدم مس الشيطان مريم فلم يبق فيه احتمال **قوله** فيجوز ان تكون
الدعوة قبل الوضع وان تكون بعد الوضع مرتين او مرارا **قلت** المفهوم
من جملة الاحاديث الواردة في هذه القصة ان الدعوة عند الوضع وانها مرة
واحدة **وقال** الزمخشري في تفسير قوله تعالى حق تقاته هو القيام بالواجب
واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى
لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وفسره القاضي بقوله حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم لقوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم فانظر كيف اختصر كلامه واتى بلفظ استفراغ الوسع
فيما يطاق وفيما لا يطاق
المشعر بشموله ثم جعل فاتقوا الله ما استطعتم علة للكلام الاول فلا يرد عليه
ما نسبه اليه الطيبي ولا على الزمخشري ايضا ومعتقد الماتريدية عدم جواز
التكليف بما لا يطاق ووافقهم الزمخشري الا ان الفرق في فائدة التكليف هل

وَانه لوكان على صورة الملكية نفرت ورأى القاضي في مجموع تلك الروايات المتقدمة
في وصف ذلك البشر على اختلافها باوصاف حسنة ما اذا اوجدت في انسان مجموعة
كان ممن يشتهي بالنظر اليه طبعا وَفهم من مجموع ذلك ان المقصود لو كان الاستيناس
فقط لكان يكفي منه ولو على صورة شيخ ابيض اللحية قد طعن في السن وَانما المقصود
هنا سوى الاستيناس سر آخر اقتضته حكمة التخليق من الازل وَهو تكون الولد
من بين الصلب وَالترائب فاستدعى ذلك الميل الطبيعي الذي عبر عنه بالتهييج
لاجل انحدار نطفتها الى رحمها فحين استانست بكلامه وَعلمت انه من البشر بعد
ان ارتاعت من اعتيائه بها سكن من روع الجوارح ما كان تحرك وَتحرك من
روع البشر وَالتلقي ما لم يكن بيا لها فهذا واما امثال ذلك من المعاني الدقيقة انما
يوخذ بالاستنباط من القصة وَالروايات الواردة في اسباب النزول بقوة العقل
المرشد الى الفهم الصحيح بمعونة المقام والله اعلم قوله نداء وخطاب لجميع الانبيا
لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة الخ وَعبارة الكشاف هذا النداء وَالخطاب ليسا
على ظاهرهما وكيف وَانما ارسلوا متفرقين في ازمنة متفرقة وَالمعنى كل رسول
نودي كذلك في زمنه ووصي به الخ انتقده السيوطي تبعا لابن المنير وقال هذه نفخة
اعتزالية فمذهبنا ان الله في الازل متكلم امرنا ه الى ان قال وَالمعتزلة انكروا قدم
الكلام فحملوا الآية على خلاف ظاهرها فلم يخصوا هذه الاية وَما ذكروه جار
في جميع الاوامر العامة للامة انتهى قلت قد فر القاضي مما نسب ابن المنير
الى الزمخشري من الاعتزال فلم يقل ان النداء في الاية ليس على ظاهره وَلا ينكر
القاضي قدم الكلام النفسي وانه تعالى في الازل متكلم آمر ناه وان الاوامر
وَالنواهي وَالاخبار بالنسبة الى الازل لا تتصف بشيء من الازمنة بان يكون الزمان
ظرفا له لقدسه بل هو مجرد عن الزمان وَان كان حكمه متقيدا به فتامل فالقاضي
شديد التحرز فيما يختصر من عبارة [illegible] عقيدته منها سل السنوة من العجين
وَما مثله في بقا شي من مقتضيات مذهب المخالف في السياق الا سل بجاجد

ليعتقد السامع ان امر النداء
جميع الرسل ورضوا به حقيق
ان يوخذ به ويعمل عليه م

ويسئل م

سمع

سمع بهجوم الكفار على بلدة الاسلام فاخذ سيفه وَقاتل حتى طردهم ورجع وقد
اثرت الدما في ثيابه فدخل المسجد ليصلي وَغسل ثيابه على استعجال للحوق الامام
في الصف وَقد بقي بعض آثار الدم اذ لم يبالغ في انقائها فصلى فلما سلم نظر اليه
المصلون شزرا وهم لا يدرون هذا [illegible] القاضي وَحالهم قوله لوجودهم في
علم الله قلت وتعلق علم الله تعالى بهم بهذا الوجه تعلق ازلي لا يتغير ولا
يتبدل قوله وَهو ايضا عند ما يوحى اليهم الخ وَفي هذا الوجه ايضا تعلق علم
الله بهم ازلي لكن لا بالنظر الى ذاته تعالى بل بالنظر الى زمان اخر وجد وا فيه
او قبله او بعده قوله لوجودهم في الخارج اي لان هذا الوجود الخارجي
هو المعتبر في تحمل اعباء التكليف وتبليغ الاوامر قوله وَقد اخذ ميثاقكم قال
القاضي بالايمان ثم قال قيل وَذلك بنصب الادلة وَالتمكن من النظر وعبارة
الكشاف محمول على نصب الادلة وَتركيب العقول وَالتمكين من النظر وانتقده
السيوطي تعالى بتبع فيه الزمخشري وقد اعترضه ابن المنير تعالى وَلا عليه ان يحمل
العهد على الحقيقة وَهو الماخوذ يوم الذر فكل ما اجازه العقل وورد به السمع
وجب الايمان به قلت وَهذا من الزمخشري مبني على قاعدة ان العقل يوجب
الايمان وَشكر المنعم ويثبت الاحكام على ما يقتضيه صلاح الخلق وَهم وَان
وَافقوا الماتريدية في كون العقل يوجب الايمان غير ان الفرق بين القولين
ان المعتزلة يقولون العقل موجب بذاته كما يقولون العبد موجد لافعاله وَعند
الماتريدية العقل للمعرفة وَالموجب هو الله حقيقة ولكن بواسطة الرسول
ووجوب الايمان بالعقل مروي عن الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى على
ما نقله الصدر الشهيد وبه اخذ الامام ابو منصور وساير علما ما ورا النهر
وان خالف بعضهم فيه وَلا شك ان هذا خلاف معتقد القاضي فانه عنده ان
جميع الاحكام المتعلقة بالتكليف متلقاة من جهة السمع وَان العقل معزول
عنها وقد يجاب عن القاضي بانه انما اتى بهذه المقولة لنكتة قيل كانه

حال م

الى الله تعالى على وجه الحقيقة نظرا لما ذكرنا على انا اذا جعلنا الشوق في الجانبين على
وجه الحقيقة لم يبعد ويتضح ذلك بقاعدة مهمة تقريرها ان الصفة تارة تعتبر
من حيث هي وتارة من حيث اضافتها الى المخلوق وتارة من حيث اضافتها الى الخالق وهي هي م
في الاعتبارات الثلاث حقيقة وان كانت الاعتبارات غير متماثلة ولها امثلة ذكرها
شيخ مشايخنا ملا الياس الكوراني في حاشيته على شرح القيرواني على الوسطى فراجعها
قوله واستدل بذلك على فضل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حيث عد فضائل
جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف هذا سياق
القاضي وانتقده السيوطي فقال تبع فيه الزمخشري وقد رده ابن المنير فقال وما
يرضى جبريل هذا التفسير المفضي لتنقيص البشير النذير قلت هذا الاعتراض على لتنقيص م
القاضي ساقط من اصله غير متجه بعد قوله وهو ضعيف وكان المنتقد لما راى
اول الكلام ولم يستتم النظر الى اخره فكان يظهر له وجه الرد على الزمخشري فانه قال آخره م
في جملة سياقه وناهيك بهذه الاية دليلا على شرف جبريل ومباينته لافضل الانس
اذا وازنت بين صفاته هنا وبين وما صاحبكم بمجنون فهذا هو الذي انكر عليه
ابن المنير واما القاضي فقد ضعفه وعلله بان المقصود منه نفي قولهم انما
يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما
انتهى وعلى تقرير التنزل فقد قيل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان
جبريل وقيل بتفضيل الملائكة فاتفقوا على انه لا يجوز تنقيص احد منهم بتعيين
من يفضل عليه بعينه وفي معناه لا تفضلوني على يونس بن متى فلو قلت زيد
افضل اهل عصره لشق على الناس ولو قلت هو افضل منك ايها المخاطب لشق عليه
وهذه الصفات اذا اسلمت فقد جاءت في حق نبينا صلى الله عليه وسلم قال في اخر
الحاقة انه لقول رسول كريم وان قيل انه ثم جبريل يرده قوله وما هو بقول
شاعر والزمخشري وافق هنا له وقوله مطاع ثم فطاعة الملائكة لنبينا ظاهرة
لا تحتاج الى بيان وله الشفاعة العامة والخاصة واما الامين فقال عليه

السلام

السلام فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ثم ان اهل السنة اجمعوا
على تعيين افضليته صلى الله عليه وسلم على جبريل وغيرنا من المخلوقات حتى قال
بعضهم ان الخلاف في التفضيل الواقع في كلامهم بين الانبيا والملائكة مخصوص
بغير نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى هذا الاجماع السنوسي في شرحه على
الوسطى فراجعه قال الغنيمي في شرحه على ام البراهين واما ما صدر عن الزمخشري
من تفضيل جبريل فهو من فحش المقال وزيغ عن موجب الحق وضلال قال وكان شيخنا
يعني به ابن قاسم العبادي يقول هذا من جهله بمذهبه اهل اهل الاعتزال ونحن
ونعوذ بالله من ذلك وان يخطر بالنا شيء من هذه المسالك وما له والتكلم
في هذا المقام المفضي الى تنقيص اشرف خطاهم الانام الى اخر ما قال وهو حسن
فراجعه عجيبه نقل بعض المتاخرين من المغاربة عن ابن دهاق انكار المعتزلة
وجود الملائكة وانهم صيروا ذلك الى خواطر حسنة تخطر للانسان وانكارهم كفر
يودي الى تكذيب القران والحديث وهم المبلغون عن الله تعالى وهم الحفظة
الكرام وقد توعد الله سبحانه بان يجعل عداوة لمن عادى ملائكته فقال
من كان عدوا لله وملائكته الاية كيف تنسب العداوة للخواطر وهي صفات
لا تتصف بالمعقول اذ قيام الصفة بالصفة مما يودي الى التسلسل انتهى وهذا
قد رده الغنيمي وقال هذا اعجب من انكارهم الجن بكثير لكن لو صح هذا النقل عنهم
فيظهر لي بطلانه او صدوره عمن لا يعتد به منهم والسبب في ذلك انهم نصوا في الخلاف
في تفضيل الانبيا على الملائكة بيننا وبينهم ولو لم يكن لهم وجود عندهم لما قالوا
بتفضيل الملائكة على الانبيا فافهم ذلك قوله لانهم كانوا موسومين قبل البعث
بعبادة الاصنام وهو وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله هذا سياق
القاضي وانتقده السيوطي فقال تبع فيه الزمخشري قلت وعبارته فان قلت
فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبد ثم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل البعث
وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت وقد اعترض عليه ابو حيان وابن